ألوان من الشعر العربي في الهند

د. عنايت رسول
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية،
الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، كشمير

إن الصلة بين العرب والهند معروفة لدى المؤرخين ومما لا شك فيه أن الاحتكاك التجاري بين البلاد العربية والهندية أدى إلى التعامل بين الثقافتين منذ القديم. ولا نسهب فى ذكرى تلك العلاقات التجارية بل ما يهمنا هنا هو نفوذ اللغة العربية وتأثيرها في اللغات والآداب المحلية عبر العصور. إن أول ما وصل إليه اللغة العربية من مناطق الهند هو السند ثم انتشر إلى منطقة ملتان ولاهور القديمة وأثرت في اللغات المنطوقة في هذه الأماكن ويكفي الإشارة إلى أن اللغة السندية أخذت الخط العربي ويرى بعض الباحثين أن الثمانين في المائة من الكلمات السندية ترجع إلى أصل عربي. ولا يقف هذا النفوذ إلى أخذ الكلمات المفردة بل حلت اللغة العربية بالنفوس حتى صارت لغة التعبير للمشاعر وشرحها ووسيلة الإظهار للعواطف والوجدان. ولا يستطيع المرء أن يعبر أحاسيسه وعواطفه بلغة إلا إذا كانت تلك اللغة قد وصلت إلى أعماق قلبه وأغوار فكره. فكما قيل لصحار العبدي "ما هذا الكلام الذي يظهر منك؟ قال شئ يجيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا" (١) إنه يدل على أن اللسان لا ينطق إلا بما هو مكنون في الصدور. وممن أخذوا من أهل الهند اللغة العربية وسيلة لإنتاجاتهم الشعرية وحازوا قصب السبق في هذا المجال هم أبو العطاء السندي وأبو الضلع السندي وهارون بن عبد الله الملتاني وغيرهم. وهم اللذين أعطوا نموذجا ومنوالا لمن جاء بعدهم لقرض الشعر العربي في الهند. وكذلك نجد أمثال مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري والإمام أكبر حسن بن صنعاني وغيرهم الذين أثروا مكتبة علوم اللغة والآداب العربية والعلوم الدينية ومن تأليفاتهم العباب الذاخر وتكملة الصحاح في اللغة للجوهري ومشارق الأنوار في الحديث وغيرها.

فلما وجه المسلمون وجوهم نحو منطقة دلهي وما يجاورها وجدت اللغة العربية

عمالقة من العلماء والأدباء الذين عانقوها بكل وداد وحماس. ويجدر بالذكر هنا أن الهند عرفت منذ دخول الإسلام فيها جماعات صوفية يقيمون على إرشاد الناس إلى تزكية النفس حسب آرائهم ومناهجهم الخاصة المتبعة لديهم ولسنا في صدد معالجة مناهجم التربوية ولكن نود أن نشير إلى قصة وردت في ترجمة الشيخ فريد غنج شكر والتي تدل على اعتناء الصوفية إلى اللغة العربية فضلا عن العلماء والأدباء. يروى أن الشيخ فريد الدين أتى إلى الشيخ قطب الدين الكاكي والتمس منه أن يبايعه في حلقته الصوفية ولكنه لم يسمح له أن ينتمي إلى الحلقة رسميا حتى يتقن العلوم الدينية الأساسية ولا سيما اللغة العربية. ويرجع فضله ومهارته في الكتابة العربية إلى هذا الاهتمام البالغ لتعلم العربية. وجرت هذه العادة في زملائه وتلاميذه وعلى رأسهم الشيخ بدرالدين إسحاق الدهلوي فقد ألف رسالة في علم الصرف لطلبته ولم يكن يبايع تلاميذه في الحلقة الصوفية حتى يتقنوا اللغة العربية وعلومها. وهو بالإضافة إلى تأليف الرسائل للطلبة أنشد الشعر العربي وأجاد. ونجد في خاتمة رسالته في فن الصرف نبذة مكتوبة بالعربية وهي غاية في الفصاحة. ومن أخبار ما تدل على شغف الناس إلى سماع الاشعار العربية في مجالس الغناء أن مغن أخذ ينشد قصيدة وغنى هذا الشطر من الشعر:

قد لسعت حية الهوى كبدي

ولم يكد يذكر الشطر الثاني فأدركه الشيخ نظام الدين وأتمه: "فلا طبيب لها ولا راق"، مع أنه كان آنذاك في التاسعة من عمره. إن هذه القصص والأخبار تشهد على أن العربية وصلت إلى الأوساط العامة ولم تقتصر إلى مجالس العلماء والأدباء فحسب. (راجع: أمير خسرو، مرتب: سيد أطهر شير، ص ١٨٩-٢٠٧، ادراة تحقيقات عربي وفارسي، بتنه بهار، ١٩٨٤)

أشعة الشعر العربي المبكرة في الهند:

إن هارون بن موسى الملتاني هو أول شاعر هندي تولى قرض الأبيات باللغة العربية، وكان هذا الشاعر من موالي الأزد جاء من اليمن واستوطن ملتان وبها ولد هذا

الشاعر، ونشأ وترعرع، ولعله توفي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة. وقد ذكر من شعره المسعودي في مروج الذهب أبياتا في الوصف.

وأما الشاعر الثاني الجدير بالذكر هنا هو مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري أصله من همدان، خرج أبوه سعد منها إلى الهند، وورد لاهور في دولة السلاطين الغزنوية، ولازم منهم السلطان: إبراهيم، فأعطاه عدة من الأعمال، واستوطن لاهور، وتزوج بها، واستولد كثيرا، منهم: مسعود المذكور، نشأ في كفالة والده، واحتظى من العلم والكمال بطريفه وتالده، إلى أن فوض إليه السلطان حكومة بعض الأمصار، وكان شاعرا مجيدا، محبا للشعراء، يعطيهم صلات عظيمة على أدنى شعر، وكان نديما لسيف الدين محمود بن السلطان إبراهيم.

توفي في سنة ٥١٥، محبوسا في قلعة نائ، وكان لبث في السجن عشرين سنة، حفظ هناك القرآن، ونظم الأشعار، وكان عارفا بالألسنة الثلاثة: العربي، والفارسي، والهندي، صاحب ثلاثة دواوين فيها، وديوانه الفارسي متداول في بلاد الهند والإيران، ولم يصل أحد من شعراء العجم إليه في حسن المعاني، ولا في لطف الألفاظ والمباني، صرح بذلك: نظامي العروضي في رسالته: (جهار مقالة) ، وله شعر حسن، منه ما أورده الرشيد الوطواط في: (حدائق السحر):

ثق بالحسام فعهده ميمون ** واركب وقل للنصر كن فيكون

ومنه: هذه القطعة في التورية:

وليل كأن الشمس ضلت ممرها ** وليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت إليه والظلام كأنه ** على العين غربان من الجو وُقَّع

فقلت لقلبي: طال ليلي وليس لي ** من الغم منجاة وفي الصبر مفزع

أرى ذنب السرحان في الجو طالعا ** فهل ممكن أن الغزالة تطلع

(ذكره الأديب: صابر، والنسائي الحكيم، وجمال الدين عبد الرزاق، في أشعارهم، وأثنوا عليه ثناء جميلا، أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، الجزء الثالث ص ٢١٥-١٦).

ومن هذه الطائفة الشاعر الأديب من القرن الثاني من الهجرة أبو عطاء السندي أفلح بن يسار مخضرمي الدولتين، وهو أول شاعر هندي مدح بني أمية وبني هاشم. له مقطوعات شعرية رائعة في ديوان الحماسة لأبي تمام حتى لا يكاد يخلو مصدر من مصادر الشعراء في القرن الثاني من الهجرة وما بعده من ذكره وإيراد شعره، كذلك لا تخلو الموسوعات الأدبية القديمة من ذكره وذكر أشعاره مثل البيان والتبيين للجاحظ، والأغاني للأصفهاني، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ومعجم الشعراء للمرزباني وغيرها من أمهات الكتب العربية، وأذكر هنا من مقطوعاته النادرة في كتاب الحماسة لأبي تمام:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا

وقد نهلت مني المثقفة السمر

فوالله ما أدري وإني لصادق

أداء عراني من حبابك أم سحر

(راجع : عبدالحي اللكنوي، الثقافة الإسلامية في الهند، ط، مجلس التحقيقات والنشر لكنو، الهند.)

القاضي: عبد المقتدر بن القاضي: ركن الدين الشريحي الكندي الدهلوي.

كان عالما مقتدرا على العلوم الكثيرة بايع الشيخ: نصير الدين الدهولي وأخذ عنه الطريقة وأقام دولة العلم والتدريس وأفاض على الطلبة والمشتغلين عليه أنوار التقديس وكان طريقة شيخه وأكثر خلفائه: المحافظة على سنن الشريعة والاشتغال بدرس العلوم الدينية وكان يقول: الفكر في مسألة واحدة من الشريعة أفضل من ألف ركعة مشوبة بالعجب والرياء. توفي القاضي في سنة ٧٩١هـ وعمره: ثمان وثمانون سنة ودفن قريبا من الحوض ا لشمسي الواقع في دهلي وله قصيدة لامية طويلة أولها:

يا سائق الظعن في الأسحار والأصل ** سلم على دار سلمى وابك ثم سل

أورد أكثرها وترك أقلها أزاد في سبحة المرجان وغيره وعليها شرح لبعض العلماء

وهي في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم.

غلام علي آزاد البلكرامي

ولد في الخامس والعشرين من صفر، يوم الأحد، سنة ١١١٦، بمنطقة بلكرام، وأتم تحصيل الكتب الدرسية - من البداية إلى النهاية - على السيد: طفيل محمد؛ وأخذ اللغة، والسير،وإجازة أكثر كتب الحديث، والشعر العربي، والفارسي، عن جده: القريب من جهة الأم السيد: عبد الجليل البلكرامي؛ والعروض، والقوافي، عن خاله: السيد محمد؛ وبايع السيد: لطف الله البلكرامي، المتوفى سنة ١١٤٣، ورحل إلى البيت العتيق، ولذلك قصة عريضة طويلة، ذكرها في (سبحة المرجان)، و (تسلية الفؤاد)، وغيرهما، بعبارة أحلى من العسل المصفى، ومر في هذه الرحلة على بلدة بهوبال المحمية، وقرأ بالمدينة المنورة صحيح البخاري على الشيخ: محمد حياة السندي، وأخذ عنه إجازة الصحاح الستة، وسائر مقروءاته؛ وصحب الشيخ: عبد الوهاب الطنطاوي، المصري، المتوفى سنة ١١٥٧؛ وأخذ عنه فوائد جمة، وعرض عليه تخلّصه آزاد، فقال: أنت من عتقاء الله تعالى، فاستبشر بهذه الكلمة، وأرّخ لحجه بلفظ: عمل (٣/ ٢٥١) أعظم.

ورحل إلى الطائف، وزار هناك قبر سيدنا: عبد الله بن عباس - رضي الله عنه -، ثم رجع إلى الهند، وأرخ له لفظ: (سفر بخير)، وألقى العصا بأورنك آباد، وأقام في تكية الشاه: مسافر الغجدواني، المتوفى سنة ١١٢٦ هـ، عند شاه محمود، المتوفى في سنة ١١٧٥ سبعة أعوام، وحصل بينه وبين نواب نظام الدولة: ناصر جنك خلف نواب نظام الملك: آصف جاه الموافقة، فأحبه حبا شديدا، ورفعه مكانا عليا، وكان لا يدعه في الظعن والإقامة، حتى فاز برتبة الشهادة، في سنة ١١٦٤، وكان يوما راكبا على الفيل، وآزاد أيضا على فيل آخر، فأنشد:

هو ناصر الإسلام سلطان الورى ** أبقاه في العيش المخلد ربه

حاز المناقب والمآثر كلها ** جبل الوقار يحبنا ونحبه

ولم ينظم قط في مدح غني بيتا إلا هذين، وكان نزيلا بأورنك آباد، ثابتا في مقام

الفقر والفناء، مجتمعا كالمركز في دائرة الانزواء، ولما توفي نظام الملك في سنة ١١٦١، وتولى نظام الدولة رياسة الدكن، بالغ في اختياره لمنصب من مناصب الإمارة، فأبى، ونفض الذيل عن الهبا، وقال:

هذه الدنيا مثل نهر طالوت، غرفة منه حلال، والزيادة عليها حرام، وأنشد:

عصابة أعطوا العافين سلطنة ** أن سلموني لنفسي فهو مغتنم

وله مصنفات: جليلة، ممتعة، مقبولة، منها:

(ضوء الدراري، شرح صحيح البخاري) إلى آخر كتاب الزكاة، وقفت عليه، وذكرت أوله في كتابي: (الحطة، بذكر الصحاح الستة)، و (تسلية الفؤاد)، و (سبحة (٣/ ٢٥٢) المرجان)، و (شفاء العليلي) في المؤاخذات على المتنبي في ديوانه، و (غزلان الهند)، و (سند السعادة)، و (سرو آزاد)، وخزائنه عامرة، ويده بيضاء، و (روضة الأولياء)، و (مآثر الكرام)، و (تاريخ بلكرام)، ورسائل أخر، وديوانان؛ وما ظهر في الهند قبله من يكون له ديوان عربي، ومن يكون له عشر عربي على هذه الحالة، وقرر نصاب القصيدة أحدا وعشرين بيتا، إلى أحد وثلاثين، وهي الدرجة الوسطى التي تريح الأسماع، ولا تمل الطباع؛ وجملة أشعاره في الدواوين: ثلاثة آلاف، وأرسلها إلى بعض الفضلاء بالمدينة المنورة، فعرضها على الروضة الخضراء، وأوصلها إلى داخل شباك القبة الغراء؛ والأمثلة المترشحة من قلمه في كتاب (سبحة المرجان) زائدة على ثلاثين ألف.

هذا آخر ما لخصته من كتابه المذكور، وله الدواوين السبعة بالعربية، تغزل فيها، وأكثر من مدحه - صلى الله عليه وسلم -، وهي موجودة عندي.

وله: (مظهر البركات) في البحر الفارسي، واللسان العربي، على وزن المثنوي، أجاد فيه كل الإجادة، وقد ذكرت ترجمته أيضا في كتاب: (إتحاف النبلاء)، وأوردت طرفا صالحا من أشعاره الغراء.

وله: ثلاثة ديوان أُخر، غالبها مدح النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا يعرف لأحد من علماء الهند، من يكون له الشعر العربي بهذه الكثرة والمثابة، وأُعطي لقب: حسان

الهند، من جهة الأستاذ.

وتوفي في سنة ١١٩٤، في بلدة أورنك آباد، ودفن بالموضع الذي يعرف: بالروضة - أحله الله تعالى في روضة الجنان، وخصه بنعيم الروح والريحان .

راجع: أبجد العلوم أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي: ١٣٠٧هـ.دار ابن حزم ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م

الشعر العربي في الحديث :

فمن الشعراءالذين أسهموا في الشعر العربي في الهند العلامة عبدالحي الحسني (١٨٦٩-١٩٢٣م) الذي ذاع صيته في العالم الإسلامي بفضل كتابه «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» قرأ العلامة الكتب الدراسية من الأدب واللغة والدراسات الإسلامية على أشهر علماء الهند بذل العلامة الندوي في قرض الشعر العربي بالإضافة إلى الجهود المتواصلة في نشر العلوم الدينية والثقافية في الهند.

ونذكر على سبيل المثال بعض الأبيات من قصيدة له مدح فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

خير البرية رأسهم ورئيسهم
ابن الكرام أخو الندى والسؤدد
رحب الذراع حليف مجد سابغ
خدن الصلاح شقيق عز سرمد
نور الهدى، غوث الورى، غيث الندى،
غرض المنى متمسك المستنجد
كهف الأرامل عون قلب خائف
مولى البرية ملجأ المسترفد

العلامة أنور شاه الكشميري

ومنهم الشيخ أنور شاه الكشميري (١٨٧٥-١٩٣٣م) الذي كان نادرة من نوادر الزمان، درس في دار العلوم بديوبند، وقام بتدريس الحديث الشريف فيها، ، ومن أهم

كتبه «فيض الباري شرح صحيح البخاري» وغيره، فكان أنور شاه الكشميري شاعرًا كبيرًا أنشد الشعر باللغتين العربية والفارسية، وكانت له مهارة فائقة في قرض الشعر باللغة العربية، وكان يحفظ من قصائد الشعراء العرب ما يزيد على خمسين ألف بيت، وأسلوبه في الشعر أسلوب فحول الشعراء في العصر الجاهلي والإسلامي، ونقدم هنا نموذجًا لبعض الأبيات من قصيدته :

قفا يا صاحبيَّ عن السِّفـارِ بمرأىً من عَرارٍ أو بَهـار
يسير بنشرها نفحـاتُ أنسٍ ورِيٍّ عند مُحيٍ من قطـار
يفيض لروحها رشحاتُ قـدسٍ حياةً للبراري والقفـار
وقد عادت صَباها من رُباهـا بأنفاسٍ يطيب بها الصحـاري
فيسري في قلوب الصَّحب وجـدٌ بأطراف الحديث لدى اعتبـار
أطِيب لنشـره نَفَسًا ونَفْسًا فأُروَى من روايات الكبـار
أتابعهم ويُمليني دموعـي حديثي من شيوخي لادّكـار
أُجلّهمُ أبجِّلُهمْ مقـامًا أبو مسعودهم جبل الوقـار

عبد الحميد الفراهي :

ومنهم عبد الحميد بن عبد الكريم الفراهي، خلف لنا عددًا كبيرًا من الكتب العربية ومنها: مفردات القرآن، والإمعان في أقسام القرآن، وحجج القرآن، وديوان حميد، وما إلى ذلك، وإلى جانب هذا أوتي الفراهي موهبة شعرية قوية، وهذا بفضل الحب اللغوي الذي تغذى عليه منذ عنفوان شبابه، واعترف بفصاحته العرب قبل العجم، وفيما يلي بعض أشعاره "في الرجوع إلى العقل"

سر مع العقل أينما سارا در مع الحق حيثما دارا
لا تهولنك ليلة عكرت إن بعد الظلام أنوارا
إن في الليل والنهار وفي الشمس والنيرات تذكارا
راكعات مسبحات يد عوننا للسجود أسحارا

(ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، ص ٣١ جمعه بدرالدين الإصلاحي، الدائرة

الحميدية، ١٩٦٧)

ومن مشاهير الشعر العربي في شبه القارة الهندية الأديب والمؤرخ عبدالله العمادي (١٨٧٨-١٩٤٧م) الذي يعد رائدًا للشعر العربي في شبه القارة الهندية في العصر الحديث، وكان الشيخ عبدالله العمادي عضوًا من كبار أعضاء «دائرة المعارف العثمانية» بحيدرآباد في الهند، وكان له يد طولى في قرض الشعر العربي، ومن أبياته:

سقاني الحب راحًا بعد راح
فما للراح مني من براح
سقوني عين شمس من بدور
فميزت البكور عن الرواح
أرى آياته في كل شيء
ففرقت السهول من البطاح
تجلى النور من فوق وتحت
ربت أضواؤه كل المساح

الخاتمة :

إننا نستطيع بالنظرة العابرة على الشعر العربي شبه القارة الهندية أن نقول إن هذا الشعر مع تنوعه في الموضوعات لم يكد يخرج من حدود الشعر العربي القديم من المدح والرثاء والوصف والحكمة والزهد حتى تابعوا هؤلاء الشعراء القدماء في بيان الوقوف على الأطلال وما يشابهه. وكذلك حافظوا على الصورة العمودية للشعر إلى يومنا هذا. ونذكر في الختام الميزة الأخرى التى تتصف الشعرالعربي في الهند في معظم كيانه هو اهتمامه البالغ بالمديح النبوي. فهو موضوع مفضل عند شعراء شبه القارة الهندية ولعل اهتمامهم إلى المديح النبوي يرجع إلى ما كان لديهم اعتناع كبير بالحديث النبوي الشريف فجعلوا صاحبه محمدا صلى الله عليه وسلم موضوعا محببا لما قرضوه من النظم والشعر منهم من خص قصائدهم للموضوعات الخاصة من السيرة النبوية مثل الإسراء والمعراج والمعجزات والشمائل.

المصادر والمراجع :

١. النص الشعري ومشكلات التفسير، د.عاطف جودة نصر، الشركة المصرية العامية للنشر، لونجمان ١٩٩٦

٢. أمير خسرو، مرتب: سيد أطهر شير، ادراة تحقيقات عربي وفارسي، بتنه بهار، ١٩٨٤

٣. عبد الحي اللكنوي، الثقافة الإسلامية في الهند، ط، مجلس التحقيقات والنشر لكنو، الهند

٤. أبجد العلوم أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي: ١٣٠٧هـ.دار ابن حزم ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م ج١-٣

٥. ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، جمعه بدرالدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، ١٩٦٧

٦. عربي مين نعتية شاعري، د. عبد الله عباس ندوي، مكتبة اسلام، لكنوء ٢٠٠٥

٧. نعت گوئي كا موضوعاتي مطالعة، د.حبيب الرحمن رحيمي، أريب ببلكيشنز، ٢٠١٠

٨. شعر العجم، العلامة شبلي النعماني، دار المصنفين أكيدمي، أعظم كره، الهند، ٢٠٠٤م، ج٤